مُعْتَرَكُ الأَقْرَان
فى
إِعْجَازِ القُرْآن

للشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره
أبى الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى
الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هجرية رحمه الله

ضبطه وصححه وكتب فهارسه
أحمد شمس الدين

المجلد الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
هاتف: ٣٦٦١٣٥
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

تُعتبر الحقبة الممتدّة ما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريَّين، حقبةَ التأليف الموسوعيّ الأدبي والعلمي والسياسي والديني في حواضر العالم الإسلامي، وخاصة في مصر والشام، اللّتين انتقلت إليهما النهضة العلمية والأدبية من بغداد بعد غزوها من قِبل المغول في منتصف القرن السابع الهجري، وبعد إحراق هولاكو لخزائن كتبها، وتشريده لعلمائها، مما حدا بهم إلى الهرب بأنفسهم وعلومهم إلى حواضرَ أكثر أمناً وسلاماً من المدينة المنكوبة. وقد كانت مصر والشام بأيدي المماليك الذين رأوا أن لا شيء يوطِّد من سلطانهم ويقرّبهم إلى الشعب أكثر من احتضانهم للعلماء، وتأسيسهم المدارس والخوانق والرباطات، وحبسهم عليها المالَ والضياع وَقْفاً على طلبة العلم من كل حدب وصوب.

كان من نتيجة هذه السياسة الحكيمة أن ازدهرت العلوم في هذه الحقبة، فصدرت المصنَّفات الموسوعية والكتب الجامعة في شتَّى صنوف العلم والأدب، مثل: صبح الأعشى للقلقشندي، ونهاية الأرب للنويري، ولسان العرب لابن منظور، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وغيرها من المؤلفات التي أَثْرَت المكتبة العربية، وشغلت فيها حَيِّزاً مرموقاً حتى وقتنا هذا.

من بين هذه المؤلَّفات التي صدرت في أواخر تلك الحقبة، هذا المصنَّف الذي يبحث في وجوه إعجاز القرآن كما يظهر من اسمه، وهو من كتب السيوطي الجامعة التي تحيط بهذا الموضوع من جميع وجوهه التي كتبت عنه، وتجمع كلَّ ما قيل فيه.

والسيوطي يجعل في هذا الكتاب وجوهاً للإعجاز القرآني، يجمعها في خمس وثلاثين وجهاً؛ فيسمِّي الوجه الأوّل من وجوه إعجازه: العلوم المستنبطة منه، والوجه الثاني: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، والثالث: حسن تأليفه والتئام كَلِمِه... وهكذا حتى يصل إلى الوجه الخامس والثلاثين من وجوه إعجازه، وهو في ألفاظ القرآن المشتركة، والذي هو عبارة عن معجم شامل يشرح ألفاظ القرآن ويفسِّرها. وقد رتّب السيوطي هذه الألفاظ على حسب حروف الهجاء، وأحاط بمعانيها، وأزال غموضها، راجعاً في كل ذلك إلى كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها.

ونشير هنا إلى أن المؤلف لا يراعي دائماً أصول الكلمات في ترتيبه السالف الذكر؛ بل إنه كثيراً ما يضع الكلمة كما وردت في القرآن الكريم، من غير التفات إلى هذه الأصول؛ فهو يذكر في حرف الهمزة مثلاً: «أسلمت وجهي»، «أقلامهم»، «أركسهم». ويذكر في حرف الفاء: «فإن الله هو موليه»، «فلينظر الإنسان»... الخ.

وهذا الأسلوب قد يسهِّل على القاريء العادي ما يعترضه من مشكلات التفسير، ويساعده على الفهم، بإراحته من الرجوع إلى أصول الكلمات وجذورها، التي قد لا يعلمها إلا الباحث العالم. ولكن هذا الأسلوب ـ في الوقت نفسه ـ قد يعجز الباحث المعتاد على الطريقة المعجمية في رجوعه إلى أصول الكلمات.

أما عن تسمية هذا الكتاب؛ فقد أوردها السيوطي بصيغتين: معترك الأقران في إعجاز القرآن، وإعجاز القرآن ومعترك الأقران. أما في الإتقان فقد أشار إلى هذا الكتاب وسماه: معترك الأقران في مشترك القرآن. وقد اعتمدنا في هذه الطبعة (دار الكتب العلمية) التسمية الأولى.

مصنِّف الكتاب

خير ترجمة له ما تحدّث به هو عن نفسه في كتابه « حسن المحاضرة »[1] إذ قال:

« عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الْخُضَيري الأسيوطي.

أما جدِّي الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقَة ومن مشايخ الطريق، ومَنْ دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحكم ببلده، ومنهم من ولي الحِسْبَة بها، ومنهم مَنْ كان تاجراً في صحبة الأمير شَيْخُون. وبنى مدرسة بأسيوط وقف عليها أوقافاً؛ ومنهم من كان متموّلاً؛ ولا أعرف منهم مَنْ خدم العلم حقَّ الخدمة إلا والدي[2].

وأما نسبتنا إلى الخضيري فلا أعلم ما تكون هذه النسبة إلا الْخُضَيْرِيّة: محلة ببغداد.

وقد حدثني مَنْ أَثِق به أنه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أنّ جَدّه الأعلى كان أعجميًّا أو من الشرق، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة.

وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد، مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين

(١) الجزء الأول، ص: ٣٣٥.

(٢) ولد بأسيوط، واشتغل بها، ثم تولّى القضاء فيها قبل أن يرحل إلى القاهرة، وتوفي سنة ٨٥٥ هـ.

وثمانمائة، وحُمِلْتُ في حياة أبي إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسي فبارك عليّ.

ونشأتُ يتيماً، فحفظتُ القرآن ولي دون ثماني سنين، ثم حفظت العُمْدة، ومنهاج الفقه، والأصول، وألفية ابن مالك، وشرعت في الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذتُ الفرائضَ عن العلامة فَرْضِيّ زمانه الشيخ شهاب الدين الشارِمْسَاحِي[1] الذي كان يقال إنه بلغ السن العالية، وجاوز المائة بكثير، والله أعلم بذلك؛ قرأت عليه شرحه على المجموع، وأُجِزْتُ بتدريس العربية في مستهل سنة ست وستين وثمانمائة.

وقد ألّفتُ في هذه السنة، فكان أول شيء ألفته شرح الاستفادة والبسملة، وأوقفت عليه شيخنا علم الدين البُلْقيني، فكتب عليه تقريظاً، ولازمته في الفقه إلى أن مات.

فلزمت ولده، وقرأت عليه من أوّل التدريب لوالده إلى الوكالة، وسمعت عليه من أول الحاوي الصغير إلى العدد، ومن أول المنهاج إلى الزكاة، ومن أول التنبيه إلى قريب من الزكاة؛ وقطعة من الروضة، من باب القضاء؛ وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشي، ومن إحياء الْمَوَات إلى الوصايا أو نحوها، وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين وثمانمائة، وحضر تَصدِيري.

فلما تُوفِّي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة لزمتُ شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، فقرأت عليه قطعةً من المنهاج، وسمعته عليه في التقسيم إلا مجالسَ فاتَتْنِي، وسمعت دروساً من شرح البَهجة، ومن حاشية عليها، ومن تفسير البيضاوي.

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي، فواظبته أرْبَعَ سنين، وكتب لي تقريظاً على شرح ألفيّة ابن مالك، وعلى جَمْع

(١) منسوب إلى شار مساح: قرية قريبة من دمياط.

الجوامع في العربية تأليفي، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبَنانه، ورجع إلى قولي مجرَّداً في حديث؛ فإنه أورده في حاشيته على الشفاء حديث ابن أبي الجمرا في الإسراء، وعزاه إلى تخريج ابن ماجه، فاحتجْتُ إلى إيراده بسَنَدِه، فكشفت في ابن ماجه فلم أجده، فمررت على الكتاب كله فلم أجده، فاتَّهمت نظري، فمررت مرة ثانية فلم أجده، فعدْتُ ثالثة فلم أجده، ووجدته في معجم الصحابة لابن قانع، فجئت إلى الشيخ وأخبرته، فبمجرد ما سمع مني ذلك أخذ نسخته، وأخذ القلم فضرب على ابن ماجه، وألْحَق ابْنَ قَانع في الحاشية، فأعظمت ذلك، وهِبْتُه لعِظَمِ منزلة الشيخ في قلبي، واحتقاري في نفسي، وقلت: ألا تَصْبِرُونَ لعلكم تراجعون! فقال: لا؛ إنما قلدت في قولي ابن ماجه البرهان الحلبي. ولم أنفك عن الشيخ إلى أنْ مات.

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة، فأخذتُ عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك، وكتب لي إجازة عظيمة.

وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفي دروساً عديدة في الكشاف والتوضيح، وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح، والعَضُد.

وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين وثمانمائة، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه.

وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور.

ولما حَججْتُ شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أَصِلَ في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج البُلْقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وعقَدْت إملاء الحديث من مُسْتَهَلّ سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة.

ورُزِقتُ التبحُّر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو،

والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العَجم، وأهل الفلسفة. والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنُّقول التي اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك، بل شيخي فيه أوسع نظراً، وأطول باعاً.

ودون هذه السبعة في المعرفة: أصول الفقه، والجدل، والتصريف، ودونها الإنشاء والترسل، والفرائض، ودونها القراءات ـ ولم آخذها عن شيخ ودونها الطبّ.

وأما علم الحساب، فهو أعْسَرُ شيء عليّ، وأبعده عن ذهني، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جَبلاً أحمله. وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله؛ أقول ذلك تَحدُّثاً بنعمة الله تعالى، لا فخراً أو أي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أَزِف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيَبُ العمر. ولو شئتُ أن أكتب في كل مسألة مُصَنِّفاً لها بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونُقُوضِها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لقدرتُ على ذلك من فَضْل الله، لا بحولي ولا بقوتي، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وقد كنت في مباديء الطَّلَب قرأتُ شيئاً في علم المنطق، ثم أَلقى اللهُ كراهيتَه في قلبي، وسمعت أنّ ابن الصلاح أفْتى بتحريمه، فتركته لذلك، فعوضَّني الله تعالى عنه عِلم الحديث الذي هو أشرفُ العلوم.

أمَّا مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثيرون؛ أوردتهم في الْمُعجم الذي جمعْتُهم فيه، وعدّتهم نحو مائة وخمسين، ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية» انتهى.

أما كتبه فقد عدّ منها في حسن المحاضرة (١ : ٣٤٠) ثلاثمائة كتاب

(سوى ما غسله وتاب عنه) في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأجزاء المفردة والعربية والآداب.

وعدَّ له بروكلمان ٤١٥ مصنَّفاً، وفلوغل ٥٦٠ مصنَّفاً، وذكر له جميل بك العظم ٥٧٦ مصنَّفاً. وقال ابن إياس في تاريخه (٢ : ٦٣): بلغت مؤلفاته ستمائة مؤلف. وقال الشعراني في ذيل طبقاته: له من المؤلفات أربعمائة وستون مؤلفاً مذكورة في فهرس كتبه.

وقد تفرَّغ السيوطي طوال عمره للتدريس والفتيا والتأليف؛ ولكنه حينما تقدمت به السن هجر الإفتاء والتدريس، واعتزل الناس متجرداً للعبادة والتصنيف، وألّف في ذلك كتاباً أسماه: «النفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس».

أما عن تاريخ وفاته، فقد قال الشعراني في ذيل طبقاته: أرسل لي ورقة مع والدي بإجازته لي بجميع مروياته ومؤلفاته، ثم جئت إلى مصر قبيل وفاته، واجتمعت به مرة واحدة، فقرأت عليه بعض أحاديث من الكتب الستة، وشيئاً من المنهاج في الفقه تبرُّكاً، ثم بعد شهر سمعت ناعِيَه يَنْعَى موته، فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة.

ومات رضي الله عنه في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وكان مرضه سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسار؛ فقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً. وكان له مشهد عظيم، ودُفن بحوش قوصون خارج باب القرافة، وقبره ظاهر وعليه قبة.

هذه الطبعة

نشير هنا، بأنَّا في هذه الطبعة، تسهيلاً على القاريء والباحث، أرفقنا كل

جزء من أجزاء الكتاب الثلاثة بفهرس شامل للموضوعات والمطالب؛ كما وضعنا في نهاية الكتاب (الجزء الثالث) فهارس عامة، نأمل - بإذن الله - أن تساعد القاريء في قراءته، والباحث في بحثه. والحمد لله ربِّ العالمين.

أحمد شمس الدين

بيروت - ١/٢/١٩٨٨